كلمة الأستاذ مروان البواب
في حفل استقبال الدكتور عبد الناصر عساف

أيها السيدات والسادة

الأستاذ الدكتور مروان المحاسني رئيس مجمع اللغة العربية

أيها السادةُ أعضاءُ المجمع الموقَّرون

أيها الحضورُ الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرحِّب بكم أجملَ ترحيبٍ وأجزلَه، وأشكر لكم تفضلَكم بالمشاركة في حفل استقبال زميلنا الجديد الدكتور عبد الناصر عساف عضوًا عاملاً في مجمع اللغة العربية بدمشق.

أيها الحفلُ الكريم:

مع طلوع فجر هذا اليوم يبلغ عمرُ مجمعنا في التقويم الميلادي سبعًا وتسعين سنةً وعَشَرَةَ أشهرٍ وأربعةَ أيام، ويبلغ عمرُه في التقويم الهجري مئةَ سنةٍ وثمانيةَ أشهرٍ وثمانيةَ أيام.

وقد مرت هذه الأعوامُ العديدة والأزمنة المديدة من عمر هذا المجمع العريق وهو يقدِّم العطاء تلو العطاء، والإحسان إثر الإحسان. وكان من أول عطاءاته وأعظمِها شأنًا وأرفعِها سناء أن أزاح اللغةَ التركيةَ ومحا آثارَها من ميادين العلم والتعليم والإدارة والحياة العامة في سورية، وأعاد اللغةَ العربية

ببهائها ورونقها إلى هذه الميادين، إيمانًا منه بأن كِيانَ الأمة إنما هو لسانُها الناطق، وأن الأمةَ ولسانَها توأمان لا ينفصلان؛ يرتفعان معًا ويَتَّضعان معًا.

ثم تتالت تلك العطاءاتُ وتتابعت، بفضل جهود أعضاء المجمع الذين تعاقبوا جيلاً بعد جيل على حَمْل رسالته، يَتبارَوْن في خدمة العربية، لا يَنُون ولا يَفتُرون، إذا قضى منهم سيِّدٌ خَلَفَه سيِّد، يَسيرون على الجادة، يؤدُّون حقَّ الأمانة التي حملوها.

ولئن أسينا على فراق مَن زاملناه في مسيرتنا منهم، إننا لنسعد بمن ينضمُّ إلينا يَشدُّ أزرنا ويقوِّي عزيمتَنا، ويساعدُنا على الاضطلاع بواجباتنا تُجاهَ لغتنا العربية الشريفة.

أيها الحفل الكريم:

نرحِّب اليومَ بالدكتور عبد الناصر عساف زميلاً جديدًا في مجمعنا، وهو أستاذٌ جامعيٌّ قدير، وباحثٌ مدقِّق خبير، نَجَّذته التجارب، وغَذَّته الحكمة، فُطِرَ على حب العربية ففتح لسحرِها وعبقريتِها قلبَه وعقلَه، فملك ناصيتَها، وتَضَلَّعَ من نحوها وصرفها، ومَهَر في أدبها وبلاغتها. دلَّ على ذلك بواكيرُ أعماله من مؤلفاتٍ ومحاضراتٍ وبحوثٍ ودراسات.

والأملُ معقودٌ على أن يكون انضمامُه إلى أسرة المجمع سندًا قويًّا لمسيرتها، رافعًا لرايتها، ونصيرًا يشدّ من أزرها ليستدّ ساعدها، يُكمِّلُ ما بدأه سابقوه ليتعاظمَ بناء المجمع الشامخ وتزدادَ دعائمُه ثباتًا ورسوخًا، فتزدادَ العربيةُ تألُّقًا ووضاءةً وإشراقًا. هذه اللغة المُبينة التي اتسمتْ بسَعتها وطواعيتها وأصالتها وعبقريتها وسحرها؛ هي لسان العرب الناطق، أوسعُ من القاموس المحيط، وأغنى من تاج العروس، وأكبرُ من خزانة الأدب، وأرسخُ من أساس البلاغة، وأحلى من قَطْر النَّدى، وأجملُ من شُذور الذهب.

بيانُها سِحْر، وفصاحتها سِرّ، خصائصُها عجيبة، ومزاياها فريدة، سهلةُ الجري على الألسنة، عذبةُ الوقْع على الأسماع، ما لحسنها نهاية، ولا يُدرَك لجمالها غاية.

أيها الحفل الكريم:

وُكِل إليَّ أن أعرِّف بزميلنا الكريم، كما جرت بذلك سُنَّةُ المجمع، وأن أسرُدَ طَرَفًا من سيرته وآثاره، وهي كما سترون تُعرب عن محامد فضله ومآثر نبله، وتشهد بكريم خصاله وشمائله، وغزارة علمه.

وُلِد الدكتور عبد الناصر عساف في قرية الحَراك من أعمال درعا في ٢٠/ ٣/ ١٩٦٥. فهو بذلك أصغر أعضاء المجمع الحاليين سِنًّا؛ إذ إنه لم يتجاوز الثانيةَ والخمسين. وفي سِنِّ الدكتور عبد الناصر هذه ردٌّ على أولئك المشنِّعين الذين لا يفتؤون يتَّهمون المجمعَ بأنه لا يختارُ لعضويتِهِ إلا الذين بلغوا من الكِبَر عتيًّا، من الذين تجاوزوا الستين والسبعين. وفي الشواهدِ التي سأسرُدها على حضراتكم حجةٌ قاطعةٌ تدحض زَعْم هؤلاء المشنِّعين وتُبْطِل فِرْيَتَهم؛

فالعلامةُ عز الدين التنوخي، وهو أحد مؤسسي المجمع، كان أصغرَ أعضاءِ المجمع وقتَئذٍ، وكان في الثلاثين من عمره.

والشاعرُ خليل مردم بك، أُنتُخب عضوًا في المجمع وهو في الثلاثين، وصار رئيسًا للمجمع وهو في الثامنة والخمسين.

والطبيبُ الموسوعيّ مرشد خاطر، كان في الحادية والثلاثين.

والدكتور جميل صليبا، كان في الأربعين.

والأديبُ المحقِّق محمد سليم الجندي، كان في الثانية والأربعين.

والعلامة اللغوي عبد القادر المبارك، والدُ أستاذِنا الدكتور مازن المبارك، كان في الثالثة والأربعين.

والأستاذ الرئيس محمد كرد علي، وهو أولُ رئيس للمجمع، كان في الثالثة والأربعين أيضًا.

والأمير مصطفى الشهابي، كان في الثالثة والأربعين أيضًا.

والمؤرِّخ رشيد بقدونس، كان في الرابعة والأربعين.

والطبيب حسني سبح، وهو أحد رؤساء المجمع، كان في الخامسة والأربعين.

والمفكِّر فارس الخوري، كان في السادسة والأربعين.

والشاعر أديب التقي، كان في الثامنة والأربعين.

ولولا خشيةُ الإطالةِ لتابعتُ سَرْدَ أسماءِ جميعِ الذين صاروا أعضاءً في المجمع وكانوا في سِنِّ الدكتور عبد الناصر، ولكني اكتفيتُ بذكر الأعلام الذين لم يبلغوا الخمسين.

وأعودُ لأتابعَ سيرةَ أخينا الزميل الجديد، فأقول:

في مدارس قريةِ الحراك تلقَّى الفتى عبد الناصر عساف تعليمَه بمراحلِهِ المختلفة، وكان شَغَفُه بالعلم وأدواتِهِ شديدًا لدرجةِ أنه حَبَسَهُ عن الناس وصَرَفَهُ عن كثيرٍ من ملاهي الحياة وشؤونِها، بل إنه أَنْبَتَ بين جوانِحِهِ خُلُقَ العُزلة الذي أصبح صفةً ملازمةً له لا يكاد ينفكّ أحدُهما عن الآخر.

وفي تلك المدارس ذاق حلاوةَ طعمِ التفوّق، فكان متفوّقًا في سِنِيِّ دراسته جميعِها، ولم يخرج عن الثلاثة الأوائل إلا في الصف الثالث الثانوي. وفي تلك المدارس أيضًا تمكّن منه حبُّ العربية. نَبَتَ هذا الحبُّ ثمّ أخذ ينمو وينمو شيئًا فشيئًا، حتى أصبح هوًى مقيمًا استبدّ به استبدادًا جَعَلَهُ يُغيِّر منحَى دراسته الجامعية؛ فحين نال شهادةَ الثانوية العلمية سنةَ (١٩٨٣)، لم يَنضوِ فيما تُتيحه له شهادتُه العلميةُ يومَئذٍ كالهندسة الكهرَبائية

والميكانيكية والاقتصادِ والتجارةِ والحقوق، بل أصرّ على التسجيل في قسم اللغة العربية بجامعة دمشق، مُعْرضًا عمّا ألَحّ به عليه والدُه من إعادة الكرّة في الثانوية لنيل ما يُتيح له التسجيلَ في كلية الطبّ البشريّ.

وفي قسم اللغة العربية شقّ الطالبُ طريقَه في مرحلة الإجازة بِجِدٍّ ومواظبةٍ وحماسةٍ واقتدار، وكان من ثلّة المتفوّقين.

وفي سنة (١٩٨٨) عُيِّن معيدًا في النحو والصرف. حتى إذا فرغ من مرحلة دبلوم التخصّص، وأسلمَتْه الأيّام إلى مرحلة الماجستير، نَهضَ يُعِدّ رسالته: (شرح الشافية) لركن الدين الأَسْتَرَاباذِيّ.

وفي سنة (١٩٩٢) نال الباحثُ درجةَ الماجستير في النحو والصرف بمرتبة امتياز.

ثمّ أعدّ رسالةَ الدكتوراه في النحو والصرف التي تناول فيها (جهودَ ابنِ عطيّةَ الأندلسيِّ النحويّةَ والصّرفية).

ولا بأس في ذكرِ نُتَفٍ مِمَّا قاله بعضُ مناقشي الباحث في رسالته، وفيها ما يَشهد للباحث ولرسالته؛ فهذا الدكتور نبيل أبو عمشة يقدِّم لمناقشته بقوله: «أعرف الأخَ عبدَ الناصر باحثًا مُجدًّا، يسعى إلى خدمة العربية بما أوتي من مقدرةٍ واسعة على البحث والاجتهاد. ولا ريب أنّ هذا السعيَ ترك أثرًا واضحًا في تكوينه العلميّ، فارتقتْ مداركُه وعَلَتْ عبارتُه، فإذا هو باحث، وأيُّ باحث! وقاربت لغتُه لغةَ القدماء، فغدا لسانُه أشبهَ بلسانهم، وظهرت شخصيّتُه في سعيه إلى مناقشتهم والتدقيق في كلامهم ومذاهبهم، وهو ما لا يُحْسنه إلا أهلُ هذا العلم مِمّن بَرَأَتْ سلائقُهم، واشتدّ عودهم. وتُعجبني فيه قدرتُه على الغوص والتحليل، وعدمُ التسليم بكلّ ما يُنقَل، بل كان يحقِّق ويقارن ويستنبط، وينتهي إلى نظراتٍ هي ما هي، مِمّا يؤذن بفهمٍ

للنصوص واستيعاب لمذاهب النحويّين وآرائهم. ولم يكن الباحثُ فيما كتبَ ذا هوًى، فقد بيّن ما لابن عطيّةَ وما عليه بنَزاهةٍ وأمانة، أسعفه في ذلك كلِّه حُسْنُ تأتّيه لما في المصادر، وتتبُّعُه لما فيها، على نحوٍ لا تكاد تُعْوِزه الدقة». انتهى كلام الدكتور نبيل أبو عمشة.

ويقول الدكتور مسعود بوبو في مناقشته: «الباحثُ أعلى بكثير مِمّا كَتَب. ومنذ سنوات لم أقرأ لباحثٍ يمتلك القدرةَ على الصبر والمتابعة والإفادة من المراجع، ودقةِ العبارة ومتانتِها كهذا الباحث. والله إنّي لسعيد بمناقشته». انتهى كلام الدكتور مسعود بوبو.

وهكذا نال الباحثُ درجةَ الدكتوراه في النحو والصرف بمرتبة امتياز، سنة (١٩٩٦)، وعُيّن إثر ذلك، في الهيئة التدريسية في قسم اللغة العربية، في كلية الآداب بجامعة دمشق، مدرّسًا للنحو والصرف.

وقد نهض الدكتور عبدُ الناصر لتدريس النحو والصرف بمنهج القدماء موضوعاتٍ وأدواتٍ وتاريخًا ومسائلَ خلاف، وإضافةً إلى ذلك تصدى في السنوات العشر الأخيرةِ للدراسات النحوية المعاصرة، والأساليب اللغوية المعاصرة. وكان في ذلك كلِّه يقوم بما يمليه عليه خُلُقُه وواجبُه، حريصًا على رسالته العلمية، رفيقًا بطلابه، ناصحًا لهم، أمينًا فيما يُسنَد إليه.

ولزميلنا الجديد مشاركةٌ يسيرة في تأليف الكتاب الجامعي، فقد شارك بعضَ زملائه في تأليف كتابين؛ الأول: (النحوُ وتاريخُه)، والآخر: (النحو ومسائله) لطلاب قسم اللغة العربية بجامعة دمشق.

وللدكتور عبدِ الناصر في الدراسات العليا في قسم اللغة العربية الذي يدرّس فيه نصيبٌ حسنٌ وأثر طيّبٌ يَمتَح من عِلمٍ وخُلُق، فقد أشرفَ على عشْرِ رسائل ماجستير في النحو والصرف، نوقِش خَمسٌ منها، نالَ بها أصحابُها

درجةَ الماجستير بمرتبة امتياز، تحكي جُهْدَ المشرف وأمانتَه، وتدلّ على ما كان له فيها من توجيهاتٍ وتصحيحاتٍ ولمساتٍ مخلصةٍ صادقة.

وشارك في مناقشةِ أزيدَ من عشرينَ رسالةً لنيل درجتَي الماجستير والدكتوراه، وكانت مشاركتُه طيّبةً تدلّ على نظرٍ ثاقب وقراءةٍ عميقة متبصِّرة.

وثَمةَ تجربةٌ أخرى للدكتور عبدِ الناصر في التدريس؛ إذ عَمِلَ في كلية المعلّمين بأبها في السعودية مدةَ خمسِ سنوات (من عام ٢٠٠١، وحتى ٢٠٠٦)، درَّس فيها اللغةَ العربية وعلومَها، وحكَّمَ أبحاثًا عديدة، ودقَّق في عددٍ من الكتب والرسائل، وأعدَّ بعض المسابقات التعليمية في المهارات اللغوية وأشرفَ عليها، وكتبَ في مجلةِ كلية المعلّمين بأبها، ومجلةِ بيادر الصادرةِ عن نادي أبها الأدبي، ولَقِيَ في ذلك كلِّهِ من تقدير الإدارة والزملاء والطلاب ومحبّتهم وتكريمهم ما لا يَحُدُّه الوصف، لما بدا لهم في هذا الأستاذ وفي أفعاله وسلوكه من صدق وإخلاص وأمانة وجدٍّ واجتهاد.

وبعد عشْرِ سنواتٍ من عودة الدكتور عبد الناصر إلى الوطن، اختارَهُ مجمع اللغة العربية بدمشق ليكون عضوًا مراسلاً، وصدر القرار في ذلك في ٦/ ١/ ٢٠١٦.

أيها الحفل الكريم:

لزميلنا الدكتور عبدِ الناصر مجموعةٌ صالحةٌ من البحوث والدراسات نشرها في مجلات عديدة؛ مِن مثلِ: مجلةِ مجمع اللغة العربية بدمشق، ومجلةِ جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، ومجلة التراث العربي، ومجلة الموقف الأدبي، ومجلة الفيصل، ومجلة اللغة العربية في أبها، والمجلة العربية في الرياض، ومجلة بيادر في أبها، ومجلة (أحمد) البيروتية.

وقد تنوعَّت محاورُ هذه البحوثِ والدراساتِ تَبَعًا لموضوعاتها؛

كالنحو والصرف، والنقدِ والتصويبِ اللغويّ، وفصاحِ العامية واللهجاتِ العربيّةِ المعاصرة، وأدبِ الأطفال.

ففي موضوع النحو والصرف، نقرأ العناوين الآتية:

١- (هذه المصطلحاتُ النحوية).

٢- (عِلَّةُ التَّقاصِّ أو المقاصَّة في النحو العربي).

٣- (التنازعُ عند ابنِ مَضاء بين كتابه «الردّ على النحاة» وقراءةِ شوقي ضيف).

٤- (إنكارُ تقدير ضمائر الرفع المستترةِ لاستغناء الفعل بمادّتِه عن فاعله).

٥- (إدغامُ التاء في الأصوات المقاربة في صيغ: تفعّل وتفاعل وتفعلل).

وكان للدكتور عبد الناصر في هذه البحوث آراءٌ وردودٌ تتعلق بتسميةِ بعض المصطلحات النحوية ونسبتِها إلى أصحابها.

وفي موضوع النقد والتصويب اللغوي، نقرأ عناوينَ من مثل:

١- (أوهامٌ لغويةٌ قد تَمسُّ القرآن).

٢- (تصحيحُ التصحيح بين القعود والجلوس).

٣- (الدخيلُ يجانبه الصوابُ في ثلاث كلمات).

حذَّر الدكتور عبد الناصر في هذه المقالات وغيرِها من الأوهام والأخطاءِ التي تَصدر عن جماعة المغلِّطين، الذين يُخطِّئون في أحايينَ كثيرةٍ ما كان من الكلام فصيحًا صحيحًا، ويَدْعون إلى نبذِهِ والعزوفِ عنه بغير وجهِ حقّ، فيُلحقون الضيمَ بالعربية، ويُصيبون الكتّاب والمتكلّمين بالعَنَتِ والمشقَّة.

ودعا الدكتور عبدُ الناصر هؤلاء المغلِّطين إلى التأنّي عند تخطئةِ هذه الكلمةِ أو تلك، وهذه العبارةِ أو تلك، فلا يَنبَرُون لها إلا بعد استقراءِ المرادِ في المدوّنة العربيةِ الواسعة، وتدبُّرِ كلام العلماء، والنظرِ فيما انتهت إليه

مجامعُ اللغةِ العربيةِ اليومَ من قراراتٍ تنطوي على إساغةِ ما شاع على ألسنةِ الكتّاب وجَرَتْ به أقلامُهم، مِمّا اتسعت له الأصالة، ولم تَمنع منه روحُ العربية وطرائقُها.

فإذا لم يجد المغلِّطون ما يَسندُ تلك العبارةَ أو الكلمةَ من سَماعٍ معتَمَدٍ أو قياسٍ متّبَع، أو يَنصرُها من دليلٍ مفحِم أو حُجةٍ قاطعة، جازَ لهم عندئذٍ أن يُغلِّطُوها، وأن يُنبِّهُوا على ما قامت عليه.

ومن هذا القبيل كان للدكتور عبدِ الناصر نظراتٌ وتعقيباتٌ على ما صدرَ عن لجنة اللغة العربية في هذا المجمع من قراراتٍ في بعض الألفاظ والأساليب التي يستعملها الناس في زماننا. تلك النظراتُ المُعجِبةُ التي تدلّ على ما وراءَها علمًا وتحقيقًا ومراجعةً واجتهادًا، وفقهًا للنصوص، وحُسْنَ تذوُّقٍ للغة.

ومن هذا القبيل أيضًا كانت لزميلنا الدكتور عبدِ الناصر مشاركاتٌ في ضبطِ الكلام على فصاح العامية ضبطًا منهجيًّا مُحْكمًا، بيَّن فيها أنَّ فصاحَ العاميةِ واللهجاتِ العربيةَ المعاصرة، إذا دُرِست دراسةً علميةً بعيدةً عن الأغراض المشبوهةِ والنَّزعات الضّيّقة، فإنها تَجود غيرَ شكٍّ بفوائدَ عديدةٍ يَصبُّ بعضُها في خدمة اللغة العربية؛ إذ يمكنها أن تَبعثَ من ألفاظ اللغةِ ما يكاد يكون مَواتًا، وتُحْيِيَ ما طال هَجْرُه وغَلَبَ عليه النِّسيان.

وفي موضوعِ أدبِ الأطفال، شارك الدكتور عبد الناصر في الكتابة للأطفال واليافعين في مجلة (أحمد) البيروتية، فكتب فيها حلقاتٍ عن أدب الأطفال عند تولستوي ومحمد الهراوي ومعروف الرصافي، وكتبَ إضافةً إلى ذلك بعضَ الخواطر والقِصص.

وأخيرًا، حكَّم الدكتور عبد الناصر جملةً صالحةً من البحوث لعددٍ من المجلات العلمية المحكَّمة، منها: مجلةُ جامعة دمشق للآداب والعلوم

الإنسانية، ومجلةُ الفرات للدراسات والبحوث العلمية، ومجلةُ التراث العربي، ومجلةُ كلية المعلمين بأبها.

وفي الختام، أهنئك أيها الزميلُ العزيز على ما نِلْتَه من ثقةِ زملائك وتقديرِ المجمع لك، راجيًا لك المزيدَ من العمل الموفَّق والإنتاجِ المثمر في رحاب مجمعنا العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٢/ ٤/ ٢٠١٧

* * *